سورة الواقعة

مكِّيَّة، وهي سبع وتسعون آية

مكيَّة في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيةً منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1] [الآية: ٨٢]. وقال الكلبيُّ: مكيَّة إلا أربع آيات منها، آيتان: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [٨١-٨٢] نزلتا في سفره إلى مكَّة، وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [٣٩-٤٠] نزلتا في سفره إلى المدينة.

وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأوَّلين والآخرين، ونبأ أهل الجنَّة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[2].

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد»[3] و«التعليق»، والثعلبيُّ أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبستَه عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقةَ من بعدي؟ إنِّي أمرتهنَّ أن يقرأنَ سورةَ «الواقعة» كلَّ ليلة، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبْه فاقة أبداً»[4].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥ .

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣١ .

(٣) ٥/ ٢٦٩ .

(٤) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٧) بتمامه، و(٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) و(٢٥٠٠) مقتصرين على الحديث المرفوع، وأخرجه أيضاً ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٢٦)، وابن السني في عمل =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة[١]. وسمِّيت واقعة؛ لأنَّها تقع عن قُرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد[٢]. وفيه إضمار، أي: اذكروا إذا وقعت الواقعة[٣]. وقال الجرجانيُّ: «إذا» صلة، أي: وقعت الواقعة، كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] وهو كما يقال: قد جاء الصوم، أي: دنا واقترب. وعلى الأوَّل «إذَا» للوقت، والجواب قوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب[٤]، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضعَ المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أي: لغو، والمعنى: لا يسمع لها كذب، قاله الكسائيُّ. ومنه قول العامَّة: عائذاً بالله، أي: معاذ الله، وقم قائماً: أي: قم قياماً. ولبعض نساء العرب ترقِّصُ ابنها:

قُمْ قائماً قُمْ قائما أصبت عبداً نائما

= اليوم والليلة (٦٨٠) بنحوه مختصراً. وفي إسناده: السري بن يحيى، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦٣: وقد اختلف في شيخه، هل هو شجاع، أو: أبو شجاع، واختلفوا أيضاً في شيخ شجاع، هل هو أبو فاطمة، أو: أبو ظبية، ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية، فعند الدارقطني بالطاء المهملة، بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني، وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة... وعند البيهقي أنه بالمعجمة، بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع لا أعرفه. اهـ.

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٥١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢١.

وقيل: الكاذبة صفة، والموصوف محذوف، أي: ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي: كلُّ من يخبر عن وقعتها صادق[١]. وقال الزجَّاج[٢]: «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: لا يَردُّها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة[٣]. وقال الثوريُّ: ليس لوقعتها أحد يكذِّب بها. وقال الكسائيُّ أيضاً: ليس لها تكذيب، أي: ينبغي ألا يكذِّب بها أحد. وقيل: إنَّ قيامها جِدٌّ لا هزْلَ فيه.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال عِكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعتْ من دنا، ورفعتْ فأسمعت من نأى[٤]. يعني: أسمعت القريب والبعيد. وقال السُّدِّيُّ: خفضت المتكبِّرين، ورفعت المستضعفين. وقال قتادة: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً إلى طاعة الله[٥]. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: خفضت أعداءَ الله في النار، ورفعت أولياءَ الله في الجنَّة. وقال محمد بن كعب: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين[٦]. وقال ابن عطاء: خفضت أقواماً بالعدل، ورفعت آخرين بالفَضْل. والخَفْض والرَّفْع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعزِّ والإهانة. ونسب سبحانه الخفضَ والرفْع للقيامة؛ توسُّعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحلِّ والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليلٌ نائمٌ، ونهار صائم. وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنَّما هو الله وحده، فرفَع أولياءَه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءَه في أسفل الدَّرَكات.

وقرأ الحسن وعيس الثقفيُّ: «خَافِضَةً رَّافِعَةً» بالنصب[٧]. الباقون بالرفع؛ على

---

(١) الكشاف ٤/ ٥١.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٠ عن قتادة.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ عن عكرمة، وأخرجه عنه الطبري ٢/ ٢٨١.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٦٩، والطبري ٢٢/ ٢٨١.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦، وقول عمر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٧٨٦٦).

(٧) المحتسب ٢/ ٣٠٧، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٠ وعزاها إلى اليزيدي.

إضمار مبتدأ، ومن نصب، فعلى الحال. وهو عند الفرَّاء[١] على إضمار فعل، والمعنى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» وقعت خَافِضَةً رَّافِعَةً. والقيامة لا شكَّ في وقوعها، وأنَّها ترفَع أقواماً وتضع آخرين، على ما بيَّنَّاه.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلزلت وحُركت، عن مجاهد وغيره[٢]. يقال: رَجَّه يَرُجُّه رجًّا، أي: حرَّكه وزلزله. وناقة رجَّاء، أي: عظيمة السَّنَام. وفي الحديث: «مَنْ ركب البحرَ حين يَرْتَجُّ فلا ذِمَّةَ له» يعني: إذا اضطربت أمواجه[٣]. قال الكلبيُّ: وذلك أنَّ الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فَرَقًا من الله تعالى. قال المفسرون: تَرْتجُّ كما يرتجُّ الصبيُّ في المهد حتى ينهدم كلُّ ما عليها، وينكسر كلُّ شيء عليها من الجبال وغيرها[٤]. وعن ابن عباس: الرَّجَّة: الحركة الشديدة يسمع لها صوت[٥].

وموضع «إِذَا» نصب على البدل من «إذا وَقَعَتِ»، ويجوز أن ينتصب بـ«خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» أي: تخفض وترفَع وقت رجِّ الأرض وبسِّ الجبال؛ لأنَّ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض[٦]. وقيل: أي: وقعت الواقعة إذا رجَّت الأرض، قاله الزجَّاج[٧] والجرجانيُّ. وقيل: أي: اذكر «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» مصدر؛ وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتت، عن ابن عباس[٨]. مجاهد: كما

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ١٢١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥ ، وأخرجه عنه ـ وعن ابن عباس ـ الطبري ٢٢/ ٢٨٢ .

(٣) الصحاح (رجج)، والحديث أخرجه أحمد (٢٠٧٤٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٢٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مطولاً، وأورده أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٢٧٥ وقال: وأكثر ظني أنه التَجَّ ـ باللام. اهـ وهما بمعنًى.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩ .

(٥) زاد المسير ٨/ ١٣١ .

(٦) الكشاف ٤/ ٥٢ .

(٧) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٨ .

(٨) زاد المسير ٨/ ١٣٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣ .

يُبَسُّ الدقيق، أي: يُلَتُّ[١].

والبَسِيْسَة: السّويق أو الدقيق يُلَتُّ بالسَّمن أو بالزيت، ثم يؤكل ولا يطبخ، وقد يُتَّخذ زاداً. قال الراجز:

لا تَـخْـبِـزَا خُـبْـزاً وبُـسَّـا بَـسَّـا ولا تُـطِـيـلاَ بِـمُـنَـاخِ حَـبْـسَـا[٢]

وذكر أبو عبيدة[٣]: أنَّه لصٌّ من غَطَفان أراد أن يخبِز فخاف أن يُعجَل عن ذلك فأكله عجيناً. والمعنى أنَّها خُلِطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء. أي: تصير الجبال تراباً فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: وبُسَّت: قُلعت من أصلها فذهبت، نظيره: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[٤] [طه: ١٠٥]. وقال عطيَّة: بُسطت كالرمل والتراب. وقيل: البسُّ: السَّوق[٥]، أي: سيقت الجبال. قال أبو زيد: البسُّ: السَّوق، وقد بسستُ الإبل أبُسُّها ـ بالضمِّ ـ بسًّا. وقال أبو عبيد[٦]: بَسَسْتُ الإبلَ وأبسست لغتان: إذا زجرتها، وقلتُ لها: بِسْ بِسْ. وفي الحديث: «يخرج قوم من المدينة إلى اليمن أو الشام أو العراق يَبُسُّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٧] ومنه الحديث الآخر: «جاءكم أهل اليمن يَبُسُّون عِيالهم»[٨] والعرب تقول: جِيْء به من حَسِّك وبَسِّك[٩]. ورواهما أبو زيد بالكسر، فمعنى من حَسِّك، من حيث أحسسته، وبَسِّك، من حيث بلغه مسيرك، وقال مجاهد: سالت سيلاً. عكرمة: هُدَّت

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧، والصحاح (بسس)، وما بعده منه أيضاً، والرجز لبعض لصوص العرب، كما ذكر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ٤/ ٤٩٠-٤٩١، وذكرها المرزباني في معجم الشعراء ص٤٧٥ بنحوه ونسبها إلى الهفوان العقيلي أحد بني المنتفق وأحد اللصوص.

(٣) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨.

(٦) في غريب الحديث ٣/ ٨٩-٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (بسس).

(٧) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، وأحمد (٢١٩١٦) عن سفيان بن أبي زهير البهزي ﷺ.

(٨) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٩) الصحاح (بسس)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٣٦.

هدًّا. محمد بن كعب: سُيِّرت سيراً، ومنه قول الأغلب العجليِّ[١]:

[نحن بسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمَّت سارا]

وقال الحسن: قُطعت قطعاً. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ قال عليٌّ ﷺ: الهباء المنبث: الرَّهَج الذي يسطع من حوافر الدوابِّ ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، وقال مجاهد: الهباء: هو الشعاع الذي يكون في الكوَّة كهيئة الغبار[٢]. وروي نحوه عن ابن عباس[٣]. وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً[٤]. وقاله عطيَّة. وقد مضى في «الفرقان»[٥] عند قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الآية: ٢٣].

وقراءة العامَّة: «مُنْبَثًّا» بالثاء المثلثة، أي: متفرِّقاً من قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] أي: فرَّق ونشر. وقرأ مسروق والنخَعيُّ وأبو حَيْوة: «مُنْبَتًّا» بالتاء المثناة[٦]، أي: منقطعاً من قولهم: بتَّه الله، أي: قطعه، ومنه البتات.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ أي: أصنافاً ثلاثة[٧]، كلُّ صنف يُشاكِل ما هو

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ وما بعده منه أيضاً، ولم يرد في النسخ قول الأغلب العجلي، واستدركناه منه.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧ ، وقول علي أخرجه مجاهد في التفسير ٢/ ٦٤٥ ، وعبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٦٩ ، والطبري ٢٢/ ٢٨٥ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٥ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٤ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧ .

(٥) ١٥/ ٣٩٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ عن النخعي، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٤ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٦ .

منه، كما يُشاكِل الزوج الزوجة. ثم بيَّن من هم فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنَّة. وأصحاب المشأمة: هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النَّار. قاله السُّدِّيُّ[١].

والمَشْأَمة: الميسرة، وكذلك الشأمة. يقال: قعد فلانٌ شأمةً. ويقال: يا فلان شائِمْ بأصحابك، أي: خُذْ بهم شَأمةً، أي: ذات الشمال[٢]. والعرب تقول لليد الشمال: الشؤمى، وللجانب الشمال: الأشأم[٣]. وكذلك يقال لما جاء عن اليمين: اليُمْن، ولما جاء عن الشّمال: الشؤم[٤].

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ: أصحاب الميمنة: هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذُّرِّيَّة من صُلْبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنَّة ولا أبالي[٥]. وقال زيد بن أسلم[٦]: هم الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيمن يومئذ. وأصحاب المشأمة: الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة: من أُوتيَ كتابه بيمينه. وأصحاب المشأمة: من أُوتيَ كتابه بشماله. وقال ابن جريح: أصحاب الميمنة: هم أهل الحسنات. وأصحاب المشأمة: هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة: الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة. وأصحاب المشأمة: المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة[٧].

وفي «صحيح مسلم»[٨] من حديث الإسراء عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «فلما

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ .

(٢) الصحاح (شأم).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤٨ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) بعدها في (م): أصحاب الميمنة. ولم ترد في النسخ الخطية.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ دون ذكر عطاء والربيع، وذكره عن الربيع ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣٢ مقتصرين على الشِّق الأول من قوله.

(٨) برقم (١٦٣)، هو عند البخاري أيضاً (٣٤٩).

عَلَونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسْوِدة، وعن يساره أسْوِدة ـ قال: ـ فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبل شماله بكى ـ قال: ـ فقال: مرحباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالح ـ قال: ـ قلت: يا جبريل مَن هذا؟ قال: هذا آدم عليه السلام، وهذه الأسودِة التي عن يمينه وعن شماله نَسَم بَنِيْه، فأهل اليمين أهل الجنَّة، والأسوِدة التي عن شماله أهل النار» وذكر الحديث.

وقال المبرِّد: وأصحاب الميمنة: أصحاب التقدُّم. وأصحاب المشأمة: أصحاب التأخُّر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدِّمين ولا تجعلنا من المتأخِّرين. والتكرير في «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و«مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» للتفخيم والتعجُّب، كقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] و﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[1] [القارعة: ١-٢] كما يقال: زيد ما زيد[2]! وفي حديث أمِّ زَرْع رضي الله عنها: مالِكٌ ومَا مَالِكٌ[3]! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب، ولأصحاب المشأمة من العقاب.

وقيل: «أصْحَابُ» رفع بالابتداء، والخبر: «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» كأنَّه قال: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» ما هم؟ المعنى: أيُّ شيء هم[4]. وقيل: يجوز أن تكون «ما» تأكيداً، والمعنى: فالذين يعطون[5] كتابَهم بأيمانهم هم أصحاب التقدُّم وعلوِّ المنزلة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «السابقون الذين إذا أُعطوا الحقَّ قبلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» ذكره المهدويُّ[6]. وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: إنَّهم الأنبياء. الحسن وقتادة: السابقون

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/١٠٨-١٠٩.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/٧٠١.

(٣) سلف ١/٢٩٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٢٤.

(٥) في (ظ): يؤتون.

(٦) وأخرجه أحمد (٢٤٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١/١٦ و٢/١٨٦-١٨٧ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

إلى الإيمان من كلِّ أمَّة[١]. ونحوه عن عكرمة. محمد بن سيرين: هم الذين صَلُّوا إلى القِبْلَتَيْن؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٢] [التوبة: ١٠٠]. وقال مجاهد وغيره: هم السابقون إلى الجهاد، وأوَّل الناس رواحاً إلى الصلاة. وقال عليٌّ ﷺ: هم السابقون إلى الصلوات الخمس. الضحَّاك: إلى الجهاد. سعيد بن جُبير: إلى التوبة وأعمال البِرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٣] [المؤمنون: ٦١].

وقيل: إنَّهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمَّة عيسى وهو حبيب النجَّار صاحب أنطاكيَّة، وسابقان في أمَّة محمد ﷺ وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله ابن عباس، حكاه الماورديُّ[٤].

وقال شُمَيْط بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر للخير في حداثة سِنِّه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرَّب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوَّل الغفلة، ثم رجع بتوبته حتى خُتم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها، فهذا من أصحاب الشمال[٥].
وقيل: هم كلُّ من سَبق إلى شيء من أشياء الصلاح.

ثم قيل: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وقال الزجَّاج[٦]: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني خبره، والمعنى: السابقون إلى

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٩٠ عن ابن سيرين.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ .

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٨٧٧٣) عن ابن عباس بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٢ دون عزو.

(٦) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٩ وما قبله منه أيضاً.

طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، «أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» من صفتهم. وقيل: إذا خرج رجل من السابقين المقرَّبين من منزله في الجنَّة كان له ضوء يعرفه به مَن دونه.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: ممَّن آمن بمحمَّد ﷺ[1]. قال الحسن: ثُلَّة ممن قد مضى قبل هذه الأمَّة، وقليل من أصحاب محمَّد ﷺ[2]. اللهم اجعلنا منهم بكرمك. وسُمُّوا قليلاً، بالإضافة إلى مَن كان قبلهم؛ لأنَّ الأنبياء المتقدِّمين كثروا، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سَبق إلى التصديق من أمَّتنا[3]. وقيل: لما نزل هذا شَقَّ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فنزلت: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة، بل ثلثَ أهل الجنَّة، بل نصفَ أهل الجنَّة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» رواه أبو هريرة، ذكره الماورديُّ[4] وغيره. ومعناه ثابت في «صحيح مسلم»[5] من حديث عبد الله بن مسعود. وكأنَّه أراد أنَّها منسوخة، والأشبه أنَّها محكمة؛ لأنها خبر[6]؛ ولأنَّ ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سابِقُو مَن مضى أكثرُ مِن سابقينا، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكون أمَّتي شطر أهل الجنَّة، ثم تلا قوله تعالى: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١ بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٩ بنحوه.

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٤٤٩-٤٥٠ ، والحديث سلف ١٢/ ٢ .

(٥) برقم (٢٢١)، وهو عند البخاري أيضاً (٦٥٢٨)، وأحمد (٣٦٦١).

(٦) الكشاف ٤/ ٥٣ ، وتفسير الرازي ٢٩/ ١٤٨ بنحوه.

مِّنَ الْآخِرِينَ» قال مجاهد: كلٌّ من هذه الأمَّة. وروى سفيان: عن أبان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ: «الثُّلّتان جميعاً من أمتي»[١] يعني: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ». وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق ﷺ. قال أبو بكر ﷺ: كِلَا الثُّلتين من أمَّة محمَّد ﷺ، فمنهم من هو في أوَّل أمَّته، ومنهم من هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقيل: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» أي: من أوَّل هذه الأمَّة. «وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» يسارع في الطاعات حتى يلحقَ درجة الأوَّلين. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرْني»[٢] ثم سَوَّى في أصحاب اليمين بين الأوَّلين والآخرين. والثُّلَّة: من ثَلَلْت الشيء، أي: قطعته، فمعنى ثُلَّة كمعنى فرقة، قاله الزجَّاج.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: السابقون في الجنَّة «عَلَى سُرُرٍ»، أي: مجالسهم على سرر، جمع سرير[٣]. «مَوْضُونَةٍ» قال ابن عباس: منسوجة بالذهب.

وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت. وعن ابن عباس أيضاً: «مَوْضُونَةٍ» مصفوفة[٤]، كما قال في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وعنه أيضاً وعن مجاهد: مَرْمولة بالذهب[٥]. وفي التفاسير: «مَوْضُونَةٍ» أي: منسوجة بقضبان الذَّهب[٦]، مشبكة بالدُّرِّ والياقوت والزَّبرجد.

والوضْن: النسج المضاعف والنَّضد، يقال: وَضَن فلانٌ الحجرَ والآجُرَّ بعضه فوق بعض، فهو موضون، ودرع موضونة، أي: مُحكَمة النَّسْج، مثل مصفوفة[٧]، قال الأعشى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣ بدون إسناد.

(٢) سلف ٤/ ٤٥٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ ، وهناد في الزهد (٧٧) و(٧٦). وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٦ .

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٣ .

(٧) تهذيب اللغة ١٢/ ٦٨-٦٩ .

وَمِـــن نَـــسْـــج دَاوُدَ مَـــوضُـــونَـــةً تُـسَـاقُ مـع الـحـيِّ عِـيـراً فَـعِـيـرَا[١]

وقال أيضاً[٢]:

وبَـيْـضَـاء كـالـنَّـهْـي مَـوْضُـونَـةً لـهـا قَـوْنَـسٌ فـوقَ جَـيْـبِ الـبَـدَنْ

والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوَضِين: بِطانٌ من سُيور ينسج فيدخل بعضه في بعض؛ ومنه قوله:

إلـيـك تَـعْـدُوا قَـلِـقًـا وَضِـيـنُـهـا[٣]

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على السرر. ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قفَا بعض، بل تدور بهم الأسرَّة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي: يتَّكئون متقابلين. قاله مجاهد وغيره[٤]. وقال الكلبيُّ: طول كلِّ سرير ثلاث مئة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَۭ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَۭ﴾ أي: غلمان لا يموتون، قاله مجاهد[٥]. الحسن والكلبيُّ: لا يَهْرَمون ولا يتغيرون، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص١٤٩، قال شارحه: والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً، تُحمل فوق الجمال عِيراً من ورائها عير.

(٢) أي: الأعشى الكبير، والبيت سلف ١١/ ٤٩.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤٨، والرجز ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٧٤ ونسبه لرجل من نجران، وقال: الوضين: الحزام، وذكره أيضاً ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ٥/ ٣٣٣، عن عمر بن الخطاب فيما يرتجز به من شعر.

(٤) سلف ١٢/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٩٥.

وهَـل يَـنْـعَـمْـن إلّا سَـعِـيـدٌ مُـخَـلَّـدٌ قَـلِـيـلُ الـهُـمُـومِ مـا يَـبِـيـتُ بِـأوجَـالِ[١]

وقال سعيد بن جبير: مُخلَّدون: مُقرَّطون[٢]، يقال للقُرْط: الخَلَدة، ولجماعة الحُليّ: الخِلدة[٣]. وقيل: مسوَّرون ونحوه، عن الفراء[٤]، قال الشاعر:

ومـخـلَّـداتٌ بِـالـلُّـجـيـنِ كَـأنَّـمَـا أعْـجَـازُهُـنَّ أقـاوِزُ الـكُـثْـبَـانِ[٥]

وقيل: مقرَّطون، يعني: مُمَنْطَقون من المناطق. وقال عكرمة: «مُخَلَّدُونَ»: منعَّمون. وقيل: على سنٍّ واحدة[٦]، أنشأهم الله لأهل الجنَّة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ والحسن البصريُّ: الولدان هاهنا: ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة[٧]. وقال سلمان الفارسيُّ: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنَّة[٨]. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يُجزَون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع[٩]. والمقصود: أنَّ أهل الجنَّة على أتمِّ السرور والنعمة، والنعمة إنَّما تتمُّ باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ أكواب: جمع كوب، وقد مضى في «الزخرف»[١٠]. وهي الآنية

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ دون ذكر الكلبي، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٢٧ ، وفيه: يَعِمَنْ، بدل: ينعمن. ومعناه: يقيم. وقال شارح الديوان: الأوجال: جمع وَجَل، وهو الفزع.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) تهذيب اللغة ٧/ ٢٧٩ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣ ، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٤٧ ولم ينسبه، وابن دريد في الاشتقاق ص١٦٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، والأقاوز: جمع قوز، والقوز من الرمل: صغير مستدير، تشبَّه به أرداف النساء. اللسان (قوز).

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٢ .

(٧) الكشاف ٤/ ٥٣ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٧٩).

(٩) زاد المسير ٨/ ١٣٥ .

(١٠) ١٩/ ٧٩ .

التي لا عُرى لها ولا خراطيم. والأباريق: التي لها عُرى وخراطيم، واحدها: إبريق، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يبرق لونه من صفائه[١]. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى في «والصافات»[٢] القول فيه. والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أنَّ المراد في هذا الموضع الخمرُ الجاريةُ من العيون[٣]. وقيل: الظاهرة للعيون، فيكون «معين» مفعولاً من المعاينة. وقيل: هو فعيل من المَعْن، وهو الكثرة[٤]. وبيَّن أنَّها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلُّف ومعالجة.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها[٥]، أي: إنَّها لذَّة بلا أذًى، بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ تقدَّم في «والصافات»[٦] أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم.

وقرأ مجاهد: «لَا يُصَدَّعُونَ» بمعنى: لا يتصدَّعون: أي: لا يتفرَّقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٧] [الروم:٤٣]. وقرأ أهل الكوفة: «يُنزِفُونَ» بكسر الزاي، أي: لا ينفد شرابهم[٨]، ولا تفنى خمرهم، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفتُم أو صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنتمُ آلَ أَبْجَرَا[٩]

وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر والصُّداع

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٣.

(٢) ١٨/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١.

(٦) عند الآية (٤٧).

(٧) الكشاف ٤/ ٥٤، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٢٠٥.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١، والقراءة في السبعة ص٥٤٧، والتيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣ عن ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥١، وما بعده منه أيضاً، والبيت للحطيئة وسلف ١٨/ ٣٢.

والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمرَ الجنَّة فنزَّهها عن هذه الخصال[١].

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يتخيَّرون ما شاؤوا؛ لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضيَّة، والتخير: الاختيار. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانِيْه الله تعالى ـ يعني في الجنَّة ـ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزُر» قال عمر: إنَّ هذه لناعِمةٌ. قال رسول الله ﷺ: «أكَلَتُها أنعم منها» قال: هذا حديث حسن[٢].

وخرَّجه الثعلبيُّ من حديث أبي الدرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة طيراً مثل أعناق البُخْت تصطفُّ على يدي وليِّ الله، فيقول أحدها: يا وليَّ الله رَعيتُ في مُرُوج تحت العرش، وشربت من عيون التَّسنيم، فكُلْ منِّي، فلا يزلن يفتخرنَ بين يديه حتى يخطر على قلبه أكْلُ أحدها، فتخرُّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع تُجمع عظام الطائر، فطار يرعى في الجنَّة حيث شاء». فقال عمر: يا نبيَّ الله إنَّها لناعِمة. فقال: «آكلُها أنْعمُ منها»[٣].

وروي عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنة لطيراً، في الطائر منها سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنَّة، ثم ينتفض فيخرج من كلِّ ريشة لون، طعام أبيض من الثلج، وأبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشَّهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه، فيأكل منه ما أراد، ثم يذهب فيطير»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٢١١ (١٨١٧٧).

(٢) الترمذي (٢٥٤٢) وفيه: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٦٣٩)، وأحمد (١٣٣٠٦)، ووقع عند الترمذي: أحسن، بدل: أنعم. وهذه وردت هكذا في التذكرة ص٤٨٥ ، والنقل منه. والجُزُر: جمع جزور، وهي الإبل. وقوله: لناعمة: أي: سِمان مترفَة. النهاية (نعم).

(٣) التذكرة ص٤٨٥ .

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١١٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٠)، وفي إسناده: عبيد الله بن الوليد الوصّافي وعطية بن سعد العوفي، وهما ضعيفان. تقريب التهذيب.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجرِّ؛ فمن جرَّ ـ وهو حمزة والكسائي وغيرهما[١] ـ جاز أن يكون معطوفاً على «بِأَكْوَابٍ» وهو محمول على المعنى؛ لأنَّ المعنى: يتنعَّمون بأكواب وفاكهة ولحم وحُور، قاله الزجَّاج[٢]. وجاز أن يكون معطوفاً على «جَنَّات» أي: هم في «جَنَّاتِ النَّعِيم» وفي حور، على تقدير حذف المضاف، كأنَّه قال: وفي معاشرة حور[٣]. الفرَّاء[٤]: الجرُّ على الإتباع في اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأنَّ الحور لا يطاف بهنَّ، قال الشاعر:

إذا مـا الـغـانِـيـاتُ بَـرَزْنَ يـومـاً وزَجَّـجْـنَ الـحَـواجِـبَ والـعُـيـونـا[٥]

والعين لا تُزجَّج وإنَّما تكحل. وقال آخر:

ورأيـتُ زَوْجَـكِ فـي الـوَغَـى مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً ورُمْـحَـا[٦]

وقال قُطْرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذَّة[٧].

ومن نصب ـ وهو الأشهب العقيلي والنّخعي وعيسى بن عمر الثّقفي، وكذلك هو في مصحف أُبَيٍّ[٨] ـ فهو على تقدير إضمار فعل؛ كأنَّه قال: ويزوَّجون حُوراً عِيناً[٩]. والحمل في النصب على المعنى أيضاً حسن؛ لأنَّ معنى يطاف عليهم به: يُعطَونه[١٠].

---

(١) السبعة ص٦٢٢ ، والتيسير ص٢٠٧ عن حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٨٣ أبا جعفر.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١١ .

(٣) الحجة للفارسي ٦/ ٢٥٧ ، والكشف لمكي ٢/ ٣٠٤ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣ .

(٥) البيت للراعي النميري، وهو في شعره ص١٥٦ .

(٦) البيت لعبد الله بن الزبعرى، وسلف ١/ ٢٩١ .

(٧) الكشف لمكي ٢/ ٣٠٤ .

(٨) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦ .

(٩) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤ .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١١ .

ومن رفع ـ وهم الجمهور، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ـ فعلى معنى: وعندهم حور عين؛ لأنَّه لا يُطاف عليهم بالحور. وقال الكسائيُّ: ومن قال: «وَحُورٌ عِينٌ» بالرفع، وعلَّل بأنَّه لا يطاف بهنَّ، يلزمه ذلك في فاكهة ولحم؛ لأنَّ ذلك لا يطاف به، وليس يطاف إلا بالخمر وحدها[١]. وقال الأخفش: يجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ لأنَّ المعنى: لهم أكواب، ولهم حور عين[٢]. وجاز أن يكون معطوفاً على «ثُلَّة»، و«ثُلَّةٌ» ابتداء، وخبره: «عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» وكذلك «وَحُورٌ عِينٌ» وابتدأ بالنكرة؛ لتخصيصها بالصفة.

﴿كَأَمْثَٰلِ﴾ أي: مثل أمثال ﴿ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ أي: الذي لم تمسّه الأيدي، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشدُّ ما يكون صفاءً وتلألؤاً، أي: هنَّ في تشاكل أجسادهنَّ في الحسن من جميع جوانبهنَّ، كما قال الشاعر:

كأنَّما خُلِقَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ فَكُلُّ أكْنَافِها وَجْهٌ لِمِرْصادِ[٣]

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ثواباً، ونصْبهُ على المفعول له. ويجوز أن يكون على المصدر[٤]؛ لأنَّ معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ»: يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين في «والطُّور» وغيرها[٥].

وقال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «خلَق الله الحورَ العين من الزعفران»[٦]. وقال خالد

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ ، والبيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٤٣ ، والكنَف: الجانب والناحية: اللسان (كنف).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٢ .

(٥) ١٩/ ٥٢٣ و١٩/ ١٣٧ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨١٢)، وفي الأوسط (٢٩٠)، ومن طريقه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٣) و(٣٨٥) عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسنادهما ضعفاء. ا هـ. ولم نقف عليه من حديث أنس ﷺ.

ابن الوليد: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليمسك التفَّاحة من تفاح الجنَّة، فتنفلق في يده، فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمسَ من حُسْنها، من غير أن ينقص من التفاحة» فقال له رجل: يا أبا سليمان إنَّ هذا لعجبٌ ولا يُنقَص من التفَّاحة؟ قال: نعم، كالسِّراج الذي يوقد منه سِراج آخر وسُرُجٌ ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: خلَق اللهُ الحورَ العينَ من أصابع رجليها إلى ركبتَيْها من الزعفران، ومن ركبتَيْها إلى ثدييْها من المسك الأذفر، ومن ثدييْها إلى عنقها من العَنْبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حُلَّة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلَتْ يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقَّة ثيابها وجِلْدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكلِّ ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء «جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ قال ابن عباس: باطلاً ولا كذباً[٢]. واللغو: ما يُلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثَّمته، أي: قلت له: أثمت[٣]. محمد ابن كعب: «وَلا تَأثِيماً» أي: لا يؤثِّم بعضُهم بعضاً. مجاهد: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا»: شتماً ولا مأثماً[٤].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ «قِيلاً» منصوب بـ«يَسْمَعُونَ»، أو استثناء منقطع، أي: لكن يقولون قِيلاً أو يسمعون. و«سَلَاماً سلاماً» منصوبان بالقول، أي: إلا أنَّهم يقولون الخير. أو على المصدر، أي: إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاماً. أو يكون وصفاً

(١) التذكرة ص٤٨١ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

لـ«قيلاً»، والسلام الثاني بدل من الأوَّل، والمعنى: إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير: سلام عليكم[١]. قال ابن عباس: أي: يُحيِّي بعضهم بعضاً. وقيل: تحيِّيهم الملائكة، أو يُحيِّيهم ربُّهم عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدَّم، والتكرير؛ لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي: في نَبْق قد خُضِدَ شوكه، أي: قطع، قاله ابن عباس وغيره[٢].

وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحابُ النبيِّ ﷺ يقولون: إنَّه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابيٌّ يوماً، فقال: يا رسول الله! لقد ذكَر الله في القرآن شجرةً مؤذيةً، وما كنت أرى في الجنَّة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي»؟ قال: السِّدر؛ فإنَّ له شوكاً مؤذياً. فقال ﷺ: «أوَليس يقول: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» خَضد اللهُ شوكَه، فجعل مكان كلِّ شوكة ثمرةً، فإنَّها تنبت ثمراً تَفتَّق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر»[٣].

وقال أبو العالية والضحَّاك: نظر المسلمون إلى وَجٍّ ـ وهو وادٍ بالطائف مُخْصِب ـ

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن ابن عباس وعكرمة، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٧ .

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٦٣ زوائد نعيم). قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٣٤ : رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن.

فأعجبهم سِدْره، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فنزلت[١]. قال أميَّة بن أبي الصَّلْت[٢] يصف الجنَّة:

إن الحدائقَ في الجِنانِ ظليلةٌ فيها الكَوَاعِبُ سِدرُها مَخْضودُ

وقال الضحَّاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ»: وهو الموقَر حَمْلاً[٣]. وهو قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القِلال[٤]. وقد مضى هذا في سورة «النجم»[٥] عند قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [الآية: ١٤] وأنَّ ثمرها مثل قلال هَجَر، من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطَّلْح: شجر الموز، واحده: طلحة. قاله أكثر المفسرين[٦] عليٌّ[٧] وابن عباس[٨] وغيرهم[٩]. وقال الحسن: ليس هو موز، ولكنَّه شجر له ظِلٌّ بارد رطب[١٠]. وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك[١١]. قال بعض الحداة وهو الجعديُّ:

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٢٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ .

(٢) ديوانه ص٥٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد والضحاك، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٨-٣٠٩ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٠٩ .

(٥) ص٢٥ من هذا الجزء.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠ ، وهناد في الزهد (١١٢)، والطبري ٢٢/ ٣١١ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠ ، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري ٢٢/ ٣١١ .

(٩) منهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة والحسن وعكرمة. النكت والعيون ٥/ ٤٥٤ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣١١ - ٣١٢ عن مجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٧ .

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤ .

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ ، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠ ، وما بعده منه، والبيت ذكره أيضاً الطبري ٢٢/ ٣١٠ ، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٤٠ ولم ينسبوه، ولم نقف عليه عند النابغة الجعدي.

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَا غَداً تَرِيْنَ الطَّلْحَ والأَحْبَالَا

فالطَّلْح: كلُّ شجر عظيم كثير الشوك[١]. الزجَّاج[٢]: يجوز أن يكون في الجنَّة وقد أُزيل شوكه. وقال الزجَّاج أيضاً: كشجر أمِّ غيلان [له] نَوْر طيّب جدًّا، فخوطبوا ووعدوا بما يُحبُّون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنَّة على ما في الدنيا. وقال السُّدِّيُّ: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا، لكن له ثمر أحلى من العسل[٣].

وقرأ عليُّ بن أبي طالب ﷺ: «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» بالعين[٤]، وتلا هذه الآية: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] وهو خلاف المصحف. وفي رواية أنه قُرئ بين يديه: «وطلح منضود» فقال: ما شأن الطلح؟ إنَّما هو «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقيل له: أفلا نحوِّلها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحوَّل[٥]. فقد اختار هذه القراءةَ ولم يَرَ إثباتها في المصحف؛ لمخالفة ما رَسْمُه مجمَع عليه. قاله القشيريُّ. وأسنده أبو بكر الأنباريُّ قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الحسن بن سعد، عن قيس بن عُبَاد، قال: قرأتُ عند عليٍّ، أو قُرِئت عند عليٍّ ـ شَكَّ مجالد ـ: «وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ»، فقال عليٌّ ﷺ: ما بال الطلح؟ أما تقرأ: «وَطَلْع» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقال له: يا أمير المؤمنين أنحكُّها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم[٦]. قال أبو بكر: ومعنى هذا أنَّه رجع إلى ما في المصحف، وعَلِمَ أنَّه هو الصواب، وأبطل الذي كان فَرَطَ من قوله.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣١.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١٢، وما بعده منه أيضاً، وما بين حاصرتين منه ومن (م).

(٣) الكشاف ٤/ ٥٤.

(٤) القراءات الشاذة ص١٥٠.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٤، وهاج الشيء: ثار لمشقَّة أو ضرر. اللسان (هيج).

(٦) وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠ من طريق مجالد، به، وبنحوه، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد، عن الحسن بن سعيد، عن علي ﷺ.

والمنضود: المتراكب الذي قد نُضدَ أوَّله وآخره بالحمل، ليست له سُوقٌ بارزة[١]، بل هو مرصوص، والنَّضْد: هو الرصُّ، والمنضَّد: المرصوص، قال النابغة:

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحْبِسُهُ ورَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[٢]

وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيدة، ثمر كلُّه[٣]. كلَّما أكل ثمرة، عاد مكانها أحسن منها.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم باقٍ لا يزول ولا تنسخه الشمس[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس، حسب ما تقدَّم بيانه هناك[٥]. والجنَّة كلُّها ظِلٌّ لا شمسَ معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظلَّ العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة[٦]: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع: ممدود، وقال لبيد[٧]:

غلبَ العَزَاءُ وكنتُ غيرَ مُغَلَّبٍ دَهرٌ طويلٌ دائِمٌ مَمْدودُ

وفي «صحيح الترمذيِّ» وغيره من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «وفي الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[٨].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ لا ينقطع[٩]، وأصل السّكب: الصبُّ، يقال: سكبه

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨ ، وتهذيب اللغة ١٢/ ٤ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، والأتيُّ: سَيْلٌ لا يدرى من أين أتى. والسجفان: الستران المقرونان بينهما فرجة. اللسان (أتي) و(سجف).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ .

(٤) الوسيط ٤/ ٢٣٤ .

(٥) ١٥/ ٤١٩ .

(٦) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠ .

(٧) شرح ديوان لبيد ص٣٦ .

(٨) الترمذي (٣٢٩٢) مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ا هـ وهو عند البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، وأحمد (١٠٢٥٩).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨ .

سَكْباً، والسُّكُوب: انصبابه؛ يقال: سَكَب سُكُوباً، وانْسكَب انسكاباً[١]. أي: وماء مصبوب يجري الليلَ والنهار في غير أُخدود لا ينقطع عنهم[٢]. وكانت العرب أصحابَ بادية وبلادٍ حارَّة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزةً لا يصلون إلى الماء إلا بالدَّلو والرَّشاء، فوعدوا في الجنَّة خلافَ ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها، والمياه والأنهار واطِّرادها.

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلادهم ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُحظَر عليها كثمار الدنيا[٣].

وقيل: «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» أي: لا يُمنع من أرادها بشوك ولا بُعْدٍ ولا حائط[٤]، بل إذا اشتهاها العبد دَنَتْ منه حتى يأخذَها، قال الله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[٥] [الإنسان: ١٤].

وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان[٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ روى الترمذيُّ عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» قال: «ارتفاعها لَكَمَا بين السماء والأرض مسيرةَ خمسِ مئةِ سنةٍ» قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رِشدِين بن سعد. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفُرُش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض[٧].

وقيل: إنَّ الفُرُش هنا كناية عن النِّساء اللواتي في الجنَّة، ولم يتقدَّم لهنَّ ذِكْر،

---

(١) الصحاح (سكب).

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٤ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١٨ .

(٥) سيأتي ٢١/ ٤٧٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣ .

(٧) الترمذي (٢٥٤٠) و(٣٢٩٤)، وهو عند أحمد (١١٧١٩).

ولكن قوله عزَّ وجلَّ: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» دالٌّ؛ لأنَّها محلُّ النِّساء، فالمعنى: ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهنَّ وكمالهنَّ، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: خلقناهنَّ خَلْقاً وأبدعناهنَّ إبداعاً. والعرب تُسمِّي المرأة فِراشاً ولِباساً وإزاراً، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾[1] [البقرة:١٨٧] ثم قيل على هذا: هنَّ الحور العين، أي: خلقناهنَّ من غير ولادة[2]. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي: خلقناهنَّ خَلْقاً جديداً[3]، وهو الإعادة، أي: أعدناهنَّ إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى: أنشأنا العجوز والصَّبية إنشاءً واحداً. وأُضمرن ولم يتقدَّم ذكرهنَّ؛ لأنهنَّ قد دخلن في أصحاب اليمين؛ ولأنَّ الفُرُش كناية عن النساء كما تقدَّم.

وروي عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» قال: «منهنَّ البِكْر والثَّيِّب»[4]. وقالت أمُّ سلمة رضي الله تعالى عنها: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا» فقال: «يا أمَّ سلمة هنَّ اللواتي قُبِضن في الدنيا عجائزَ شُمْطاً عُمْشاً رُمْصاً، جعلهنَّ اللهُ بعد الكِبَر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء»[5]. أسنده النحَّاس عن أنس قال: حدَّثنا أحمد بن عمرو، قال: حدَّثنا عمرو بن عليٍّ، قال: حدَّثنا أبو عاصم، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشيِّ، عن أنس بن مالك رفَعه: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» قال: «هنَّ العجائز العُمْش الرُّمْص، كُنَّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصاً»[6]. وقال المسيِّب بن شريك: قال النبيُّ ﷺ في

---

(١) التذكرة ص٤٦٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣.

(٤) أخرجه الطيالسي (١٣٠٧)، والطبراني ٢٢/ ٣٢٠ والطبراني في الكبير (٦٣٢٢)، عن سلمة بن يزيد مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٨٧٠)، وفي الأوسط (٣١٦٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، والطبري ٢٢/ ٣٢٠ من طريق موسى بن عبيدة، به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان يضعَّفان في الحديث.

قوله: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» الآية، قال: «هنَّ عجائز الدنيا أنشأهنَّ الله خَلْقاً جديداً، كلَّما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً» فلما سمعت عائشة ذلك قال: واوجعاه! فقال لها النبيُّ ﷺ: «ليس هناك وجع»[١].

﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب[٢]. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرُب: العواشق لأزواجهنَّ[٣]. وعن ابن عباس أيضاً: إنَّها العَرُوب المَلَقة. عكرمة: الغَنجة[٤]. ابن زيد: بلغة أهل المدينة[٥]. ومنه قول لبيد:

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشةٍ رَيَّا الروادِفِ يَعْشَى دُونَها البصرُ[٦]

وهي الشَّكِلة، بلغة أهل مكَّة[٧]. وعن زيد بن أسلم أيضاً: الحسنة الكلام[٨]. وعن عكرمة أيضاً وقتادة: العُرُب: المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ[٩]. واشتقاقه من أعرب إذا بيَّن، فالعروب تُبيِّن محبتها لزوجها بشَكَل وغُنْج وحُسن كلام. وقيل: إنَّها الحسنة التَّبَعُّل؛ لتكون ألذَّ استمتاعاً[١٠]. وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرُباً» قال: «كلامهنَّ عربيٌّ»[١١].

---

(١) التذكرة ص٥٠٤-٥٠٥ ، وأخرجه الثعلبي كما في الكافي الشاف ص١٦٣ ، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٣ عن المسيب بن شريك موقوفاً.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١ .

(٣) زاد المسير ٨/ ١٤٢ عن ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والمبرد ومجاهد، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٥ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٤ ، والمَلَق: الوُدُّ واللطف الشديد. اللسان (ملق).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ وما بعده منه أيضاً.

(٦) شرح ديوان لبيد ص٦١ ، وفيه: الحُدُوج، بدل: الخباء. وهما بمعنى.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٥ عن ابن بريدة، والشكلة: ذات الدَّلِّ والحُسن والتغنُّج. اللسان (شكل).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٥ .

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ عن عكرمة، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٧ عن قتادة.

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ .

(١١) أورده ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٢ (١٨٧٩٣) بلفظ: وذكر عن سهل بن عثمان العسكري، =

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «عُرْباً»، بإسكان الراء[١]. وضمَّ الباقون، وهما جائزان في جمع فَعُول.

«أَتْراباً» على ميلاد واحد في الاستواء وسنٍّ واحدة، ثلاثٍ وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران[٢]. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حدَّ الصِّبَا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: «أتْراباً» أمثالاً وأشكالاً، قاله مجاهد[٣]. السُّدِّيُّ: أتراب في الأخلاق لا تباغضَ بينهنَّ ولا تحاسد.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العُرُب لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ رجع الكلام إلى قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» أي: هم «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» وقد مضى الكلام في معناه.

وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحَّاك: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» يعني من سابقي هذه الأمَّة، و«ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» من هذه الأمَّة من آخرها؛ يدلُّ عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «هم جميعاً من أمَّتي»[٤].

= عن أبي علي، عن جعفر بن محمد، به. وبرقم (١٨٧٩٣) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، . . . الخبر، ولم يذكر فيه: عن جدِّه.

(١) السبعة ص٦٢٢ ، والتيسير ص٢٠٧ ، والحجة للفارسي ٦/ ٢٥٨ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ وما بعده منه أيضاً، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٨ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٩ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٥ ، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٧٨ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣٥ ، والبغوي في التفسير ٤/ ٢٨٥ ، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي عياش قال عنه ابن عدي: وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو بيَّن الأمر في الضعف. ا هـ. وأورده الطبري في التفسير ٢٢/ ٣٣٣ وضعَّفه. =

وقال الواحديُّ[١]: أصحاب الجنَّة نصفان، نصف من الأمم الماضية، ونصف من هذه الأمَّة. وهذا يردُّه ما رواه ابن ماجه في «سننه» والترمذيُّ في «جامعه» عن بُريدة ابن حصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنَّة عشرون ومئة صفٌّ، ثمانون منها من هذه الأمَّة، وأربعون من سائر الأمم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[٢].

و«ثُلَّةٌ» رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلتان: ثلَّة من هؤلاء، وثلَّة من هؤلاء[٣]. والأوَّلون: الأمم الماضية، والآخرون: هذه الأمَّة، على القول الثاني[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسمَّاهم أصحاب الشمال؛ لأنَّهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظَّم ذِكْرهم في البلاء والعذاب فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ . فِى سَمُومٍ﴾ والسموم: الريح الحارَّة التي تدخل في

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٨-١١٩ عن أبي بكرة مرفوعاً، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ. ا هـ. ولم نقف عليه في معاجم الطبراني الثلاثة.

(١) في الوسيط ٤/ ٢٣٥ بنحوه.

(٢) ابن ماجه (٤٢٨٩)، والترمذي (٢٥٤٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ .

مسامِّ البدن[١]. والمراد هنا حرُّ النار ولفحها[٢]. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: ماء حارٌّ قد انتهى حرُّه[٣]، إذا أحرقت النارُ أكبادَهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحرَّ، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في «القتال»[٤]: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [الآية: ١٥].

﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ أي: يفزعون من السَّموم إلى الظِّلِّ كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلاً من يَحْموم، أي: من دخان جهنَّم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٥]. وكذلك اليَحْموم في اللغة: الشديد السواد، وهو يَفْعول من الحَمِّ، وهو الشحم المسودُّ باحتراق النار. وقيل: هو مأخوذ من الحُمَم وهو الفحم[٦]. وقال الضحَّاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكلُّ شيء فيها أسود[٧]. وعن ابن عباس أيضاً: النار سوداء[٨]. وقال ابن زيد: اليَحْموم: جبل في جهنَّم يستغيث إلى ظلِّه أهل النار[٩].

﴿لَّا بَارِدٖ﴾ بل حارٌّ؛ لأنَّه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلَا كَرِيمٖ﴾ عذب، عن الضحَّاك[١٠]، وقال سعيد بن المسيّب: ولا حسن منظره[١١]. وكلُّ ما لا خير فيه فليس بكريم. وقيل: «وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ» أي: من النار يُعذَّبون بها، كقوله: ﴿لَهُم مِّن

(١) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٣) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٤) ١٩/ ٢٦١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٥ .

(٦) الصحاح (حمم)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٨-١٩ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ .

(١٠) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٧ .

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

﴿فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[١] [الزمر: ١٦].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: إنَّما استحقُّوا هذه العقوبة؛ لأنَّهم كانوا في الدنيا متنعِّمين بالحرام. والمترَف: المنعَّم، عن ابن عباس وغيره. وقال السديُّ: «مُتْرَفِينَ» أي: مشركين[٢].

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: يقيمون على الشِّرك، عن الحسن والضحَّاك وابن زيد[٣]. وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه[٤]. الشعبيُّ: هو اليمين الغَمُوس[٥]. وهي من الكبائر. يقال: حَنِث في يمينه، أي: لم يَبرَّها ورجع فيها[٦]. وكانوا يقسمون أنْ لا بعثَ، وأنَّ الأصنام أنداد الله، فذلك حنثهم، قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٧] [النحل: ٣٨]. وفي الخبر: كان يَتحنَّث في حِرَاء، أي: يفعل ما يُسقِط عن نفسه الحِنث، وهو الذَّنْب[٨].

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا﴾ هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّد: ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من آبائكم ﴿وَٱلْآخِرِينَ﴾ منكم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القَسَم، ودخول اللام في قوله تعالى: «لَمَجْمُوعُونَ» هو دليل القَسَم في المعنى، أي: إنَّكم لمجموعون قسَماً حقّاً،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٩ عن الضحاك وابن زيد، وابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٣ (١٨٧٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٦) الصحاح (حنث).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٨) الصحاح (حنث)، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٨٠ .

خلافَ قَسَمكم الباطل.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث[١] .﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ وهو شجر كَريه المنظر، كريه الطَّعم، وهي التي ذكرت في سورة «والصافات»[٢]. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: من الشجرة[٣]؛ لأنَّ المقصود من الشجرة شجرة. ويجوز أن تكون «من» الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً كأنَّه قال: «لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ» طعاماً. وقوله «مِنْ زَقُّومٍ» صفة لشجر، والصفة إذا قدَّرت الجارَّ زائداً، نصبت على المعنى، أو جررتَ على اللفظ، فإن قدَّرت المفعول محذوفاً، لم تكن الصفة إلا في موضع جرٍّ.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الزقوم، أو على الأكل، أو على الشجر[٤]؛ لأنَّه يذكَّر ويؤنَّث .﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء المغليُّ الذي قد اشتدَّ غليانه، وهو صديد أهل النار[٥]. أي: يورثهم حَرّ ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشاً، فيشربون ماء يظنُّون أنَّه يزيل العطش، فيجدونه حميماً مُغْلَى.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قراءة نافع وعاصم وحمزة: «شُرْبَ» بضمِّ الشين، الباقون بفتحها[٦]، لغتان جيِّدتان، تقول العرب: شَرِبت شُرْباً وشَرْباً وشِرْباً وشُرُباً بضمَّتين[٧]. قال أبو زيد: سمعت العربَ تقول بضمِّ الشين وفتحها وكسرها، والفتح هو المصدر الصحيح؛ لأنَّ كلَّ مصدر من ذوات الثلاث فأصله فَعْل، ألا ترى أنَّك تردّه إلى المرَّة الواحدة، فتقول: فَعْلة، نحو شَرْبة، وبالضمِّ الاسم. وقيل: إنَّ

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٢) بقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وسلف ١٨/ ٤١ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠٢ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ .

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٢ .

(٦) السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٧) الصحاح (شرب) دون ذكر: وشُرُباً بضمتين.

الفتح والاسم مصدران، فالشَّرْب كالأكل، والشُّرب كالذُّكْر، والشِّرب ـ بالكسر ـ المشروب، كالطِّحن المطحون[١].

والهِيم: الإبل العِطاش التي لا تَرْوى لدَاءٍ يصيبها، عن ابن عباس وعِكرمة وقتَادة والسُّديِّ وغيرهم[٢]، وقال عكرمة أيضاً: هي الإبل المِراض[٣]. الضحَّاك: الهيم: الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً، واحدها: أهْيَم، والأنثى: هَيْماء[٤]. ويقال لذلك: الداء الهُيَام، قال قيس بن الملوّح:

يقال بِه داء الهُيَامِ أصابه وقد علِمت نفسي مكانَ شِفائِها[٥]

وقوم هِيم أيضاً، أي: عِطاش، وقد هاموا هُيَاماً. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة، والجمع هيم[٦]، قال لَبِيد:

أَجَزْتُ إلى معارِفِها بِشُعْثٍ وأطلَاحٍ مِن العِيدِيِّ هِيم[٧]

وقال الضحَّاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل[٨]. وروي أيضاً عن ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تَرْوى بالماء[٩]. المهدويُّ: ويقال لكلِّ ما لا يروى من الإبل والرمل: أهيم وهيماء.

---

(١) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٠ ، والبيان ٢/ ٤١٧-٤١٨ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٤٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، ولم نقف عليه في ديوان قيس.

(٦) تهذيب اللغة ٦/ ٤٦٨ .

(٧) شرح ديوان لبيد ص١٠٣ ، قال شارحه: شعث: رجال سيئة حالهم من الجهد والسفر. وأطلاح: إبل رزايا مهازيل. والعيدي: إبل منسوبة إلى فحل أو إلى قوم.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ عن الضحاك وابن عيينة، والصحاح (هيم) عن الأخفش.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ .

وفي «الصحاح»[١]: والهُيَام بالضمِّ: أشدُّ العطش. والهُيَام كالجنون من العشق. والهُيَام: داء يأخذ الإبل فتَهيم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة هَيْماء. والهيماء أيضاً: المفازة لا ماءَ بها. والهَيَام بالفتح: الرمل الذي لا يتماسك أن يسيل من اليد لِلِينِهِ، والجمع هُيُم مثل قَذَال وقُذُلٍ. والهِيَام بالكسر: الإبل العطاش، الواحد هَيْمان، وناقة هَيْمَى مثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: رزقهم الذي يُعَدُّ لهم، كالنُّزُل الذي يعدُّ للأضياف؛ تكرمةً لهم، وفيه تهكُّم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر[٢] الضَّبيِّ:

وكنَّا إذا الجَبَّارُ بالجيشِ ضَافَنَا جعلنا القَنَا والمرهفاتِ له نُزْلَا

وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو: «هَذَا نُزْلُهُمْ» بإسكان الزاي[٣]، وقد مضى في آخر «آل عمران»[٤] القول فيه. «يَوْمَ الدِّينِ» يوم الجزاء، يعني في جهنَّم.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلّا تصدِّقون بالبعث[٥]؟ لأنَّ

---

(١) مادة: (هيم).

(٢) في (م) و(د): السعد، والمثبت من (ظ) والكشاف ٤/٥٦، وأورده أيضاً الزمخشري في الكشاف ١/٤٩١ وسمَّاه: أبو الشعراء الضبي.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٢٣، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥١ وقال: هذا نزلهم، بالإسكان، هارون عن أبي عمرو وعياش.

(٤) ٥/٤٨٣.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٨٧.

الإعادة كالابتداء. وقيل: المعنى: نحن خلقنا رزقكم، فهلَّا تصدِّقون أنَّ هذا طعامكم[١] إن لم تؤمنوا؟.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تصبُّونه من المَنِيِّ في أرحام النساء[٢]. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: ما تصوِّرون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ المقدِّرون المصوِّرون[٣]. وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي: إذا أقررتم بأنَّا خالقوه لا غيرنا، فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السَّمَّال ومحمد بن السميفع وأشهب العقيليُّ: «تَمْنُونَ» بفتح التاء[٤]، وهما لغتان أمْنى ومَنى، وأمذَى ومَذَى، يُمني ويَمنِي، يُمذِي ويَمذِي[٥].

الماورديُّ[٦]: ويحتمل أن يختلف معناهما عندي، فيكون أمنى: إذا أنزل عن جماع. ومَنَى: إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المنيِّ مَنِيًّا وجهان: أحدهما: لإمنائه وهو إراقته. الثاني: لتقديره، ومنه المَنَا الذي يُوزَن به[٧]؛ لأنَّه مقدار لذلك، كذلك المنيُّ مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ احتجاج أيضاً، أي: الذي يَقدِر على الإماتة يَقدِر على الخَلْق، وإذا قدر على الخَلْق قدر على البعث.

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٥٨ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠ .

(٣) الكشاف ٤/٥٦ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والكشاف ٤/٥٦ عن أبي السمَّال، والمحرر الوجيز ٥/٢٤٨ عن ابن عباس وأبي السمَّال.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٨ .

(٦) في النكت والعيون ٥/٤٥٨ .

(٧) المَنَا، والمنُّ بلغة تميم، والمنا أفصح: كيل يكال به السمن، أو ميزان يوزن به، ويقدَّر بنصف كيلو غرام تقريباً في زماننا، أو يزيد أو ينقص قليلاً حسب نوعه، فمنه المنا المصري وهو ٣٤٧/ ٤١٢ غرام، والرومي وهو ٦٤٣/ ٥٤١ غرام، والطبي وهو ٥٦٣/ ٦١٨ غرام. معجم متن اللغة ١/٨٦ ، ومادة (منن) و(مني).

وقرأ مجاهد وحُميد وابن مُحَيْصن وابن كَثير: «قَدَرْنا» بتخفيف الدال، الباقون بالتشديد[١].

قال الضحَّاك: أي: سوَّينا بين أهل السماء وأهل الأرض[٢]. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا[٣]. والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبدِّل أمثالكم لم يسبقنا أحد[٤]، أي: لم يغلبنا. «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» معناه: بمغلوبين[٥]. وقال الطبريُّ[٦]: المعنى: نحن قدَّرنا بينكم الموت على أن نبدِّل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين في آجالكم، أي: لا يتقدَّم متأخِّر، ولا يتأخَّر متقدِّم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور والهيئات[٧]. قال الحسن: أي: نجعلكم قردةً وخنازيرَ كما فعلنا بأقوام قبلكم[٨]. وقيل: المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمِّل المؤمنُ ببياض وجهه، ويُقبِّح الكافرُ بسواد وجهه[٩]. سعيد ابن المسيب[١٠]: قوله تعالى: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ» يعني في حواصل طير سود تكون ببَرهُوت، كأنَّها الخطاطيف، وبَرَهُوت: وادٍ في اليمن. وقال مجاهد: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ»

---

(١) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠ .

(٦) في التفسير ٢٢/ ٣٤٧-٣٤٨ .

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٨ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٩ بنحوه.

(١٠) في النسخ عدا (ظ): جبير، والمثبت (ظ) وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ والكلام منه.

في أيِّ خَلْق شئنا[١]. وقيل: المعنى: ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إذ خُلِقتم من نُطفة، ثم من عَلَقة، ثم من مُضْغة[٢]، ولم تكونوا شيئاً، عن مجاهد[٣] وغيره. قتادة والضحَّاك: يعني خَلْق آدم عليه السلام[٤]. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلَّا تذكَّرون. وفي الخبر: عجباً كلُّ العجب للمكذِّب بالنشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار[٥].

وقراءة العامة: «النَّشْأَةَ» بالقَصْر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَة» بالمدِّ، وقد مضى في «العنكبوت»[٦] بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ هذه حجَّة أُخرى، أي: أخبروني عمَّا تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البَذر، أنتم تنبتونه وتحصِّلونه زرعاً فيكون فيه السُّنبل والحَبُّ، أم نحن نفعل ذلك[٧]؟ وإنَّما منكم البَذْر وشَقُّ الأرض، فإذا أقررتم بأنَّ إخراج السُّنبل من الحبِّ ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأنَّ الحرث فِعْلهم ويجري

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٤٦.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٧.

(٣) في تفسيره ٢/ ٦٥٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢، والطبري ٢٢/ ٣٤٧ عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٣٢٨ عن علي بن الحسين بنحوه.

(٦) ١٦/ ٣٥٢.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٨.

على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم[١]. وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يقولنَّ أحدكم: زرعتُ، وليقلْ: حرثتُ، فإنَّ الزارع هو الله» قال أبو هريرة: ألَم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[٢].

والمستحبُّ لكلِّ من يُلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ» الآية، ثم يقول: بل الله الزارع والمنبِت والمبلغ، اللهمَّ صلِّ على محمد، وارزقنا ثمره، وجنِّبنا ضرره، واجعلنا لأنْعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا ربَّ العالمين. ويقال: إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات؛ الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة، وجُرِّب فوُجِد كذلك.

ومعنى «أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ» أي: تجعلونه[٣]. وقد يقال: فلان زرَّاع كما يقال: حرَّاث، أي: يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزرَّاع. وقد يطلق لفظ الزرع على بَذر الأرض وتكريبها[٤] تجوُّزاً.

قلت: فهو نهي إرشاد وأدب، لا نهي حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقولنَّ أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، وفَتاي وفَتاتي»[٥] وقد مضى في «يوسف»[٦] القول فيه. وقد بالغ بعض العلماء فقال:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ ، وما بعده منه أيضاً.

(٢) أخرجه البزار (١٢٨٩ كشف الأستار)، والطبري ٢٢/ ٣٤٨ ، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٢٠: رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. ا هـ. قلنا: مسلم ابن أبي مسلم الجرمي ذكره ابن حبان في الثقات ٩/ ١٥٨ ، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ .

(٣) بعدها في (م): زرعاً.

(٤) كَرَب الأرضَ يكربها كَرْباً وكِراباً: قَلَبها للحرث، وأثارها للزرع. اللسان (كرب).

(٥) سلف ٦/ ٢١٣ .

(٦) ١١/ ٣٥٤ .

لا يقل: حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت، وأعطاني بفَضْله ما أصبت. قال الماورديّ[١]: وتتضمَّن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العَفَن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعافَ ما كان عليه، فهو بإعادة من أمات أخفُّ عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفِطَر السليمة.

ثم قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: متكسِّراً: يعني الزرع. والحُطام: الهشيم الهالك الذي لا يُنتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبَّه بذلك أيضاً على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النِّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكره. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنَّه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء، وكذلك يُهلِكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا[٢].

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تعجَّبون بذهابها، وتندَّمون مما حلَّ بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما[٣]. وفي «الصحاح»[٤]: وتفكَّه، أي: تعجَّب، ويقال: تندَّم، قال الله تعالى: «فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أي: تندَّمون. وتفكَّهت بالشيء: تمتَّعت به.

وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]. وقال عكرمة: تلاومون[٥] وتندَّمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم. ابن كَيْسان: تحزنون[٦]. والمعنى متقارب.

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٥٠ .

(٤) مادة: (فكه).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ ، وتتمة قول عكرمة ذكره عن الحسن لا عن عكرمة، وكذلك ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٥٧ عن الحسن.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

وفيه لغتان: تفَكَّهون وتَفَكَّنُون[١]، قال الفرَّاء: والنون لغة عُكْل[٢]. وفي «الصحاح»[٣]: التفكُّن: التندُّم على ما فات. وقيل: التفكُّه: التكلُّم فيما لا يعنيك، ومنه قيل للمزاح: فُكاهة، بالضمِّ، فأما الفَكاهة ـ بالفتح ـ فمصدر فَكِهَ الرجلُ ـ بالكسر ـ فهو فَكِهٌ: إذا كان طيِّب النفس مَزَّاحاً[٤].

وقراءة العامة: «فَظَلْتُمْ» بفتح الظاء. وقرأ عبد الله: «فَظِلْتُمْ» بكسر الظاء[٥]، ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل: ظَلَلْتُمْ، فحذف اللام الأولى تخفيفاً، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ وقرأ أبو بكر والمفضَّل: «أَئِنَّا» بهمزتين على الاستفهام[٦]، ورواه عاصم عن زِرِّ بن حُبَيش. الباقون بهمزة واحدة على الخبر، أي: يقولون: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» أي: معذَّبون، عن ابن عباس وقَتَادة قالا: والغرام: العذاب[٧]، ومنه قول ابن المحلِّم:

وثقت بأنَّ الحِفظ منِّي سجيَّةٌ ... وأنَّ فؤادي مُثْبَلٌ بك مغرم[٨]

وقال مجاهد وعِكرمة: لمولع بنا[٩]، ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلاَ عن تَذكُّره تُكْتَما ... وكان رَهيناً بها مُغرَمَا[١٠]

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠ ونسبها إلى تميم.

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص٦٥ دون عزوه للفرَّاء.

(٣) مادة: (فكن).

(٤) الصحاح (فكه).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠-٣٤١.

(٦) السبعة ص٦٢٣، والتيسير ص٢٠٧.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ عن قتادة.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١.

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨.

(١٠) مختارات ابن الشجري ص١٦، ومنتهى الطلب لابن ميمون ١/ ٢٨٦.

يقال: أُغرم فلانٌ بفلانة، أي: أُولع بها، ومنه الغرام، وهو الشَّرُّ اللازم[١]. وقال مجاهد أيضاً: لملقون شرًّا[٢]. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحَّاس[٣]: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» مأخوذ من الغَرام وهو الهلاك، كما قال:

يومُ النِّسَارِ ويومُ الجِفَـ ـرِ كَانَا عَذَاباً وكَانَا غَرَامَا[٤]

الضحَّاك وابن كيسان: هو من الغُرْم، والمُغْرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض[٥]، أي: غرِمنا الحَبَّ الذي بذرناه. وقال مُرَّة الهَمداني: محاسبون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمنا ما طلبنا من الريع[٦]. والمحروم: الممنوع من الرزق. والمحروم ضدُّ المرزوق، وهو المحارِف في قول قتادة[٧]. وعن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث»؟ قالوا: الجدوبة. فقال: «لا تفعلوا، فإنَّ الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت زرعت بالبَذْر» ثم تلا: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»[٨].

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحِّح قولَ من أدخل الزارع في أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»[٩].

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١٣١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ .

(٣) في إعراب القرآن له ٤/ ٣٤١ .

(٤) القائل بشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في ديوانه ص١٩٨ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٨ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٣ .

(٨) لم نقف عليه.

(٩) ص٩٤ و١٠٣ .

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم؛ لأنَّ الشراب إنَّما يكون تبعاً للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدَّماً في الآية قبلُ، ألا ترى أنَّك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشريُّ: ولو عكستَ قعدتَ تحت قول أبي العلاء:

إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ الناسِ مَحْضاً ... سَقَوا أضيافَهمْ شَبِماً زُلَالَا[1]

وسُقي بعضُ العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلة[2].

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: السَّحاب، الواحدة: مُزْنة[3]، فقال الشاعر:

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنَا ... كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[4]

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ المُزْن السَّحاب[5]. وعن ابن عباس أيضاً والثوري: المُزْن: السَّماء والسَّحاب[6]. وفي «الصِّحاح»[7]: أبو زيد: المُزْنة: السَّحابة البيضاء، والجمع: مُزْن، والمُزنة: المَطْرَة، قال:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٧ ، وما بعده منه أيضاً، والمحض: اللبن الخالص الذي لم يخالطه ماء. والشَّبِم: الماء البارد. اللسان (محض) و(شبم).

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢/ ٣٦٥ وقال: أي: على شيء في بطنه. ويقال: ثمل الرجل: إذا سَكِرَ.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢ .

(٤) القائل: السموأل بن عاديا اليهودي، والبيت في ديوانه ص٦٩ ، والنصاب: الأصل. ورجل كَهام وكهيم: ثقيل مسنٌّ دثور لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهم).

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) مادة: (مزن).

ألـم تَـرَ أنَّ الـلـه أنْـزَل مُـزْنـةً وعُـفْرُ الظِّبَاءِ في الكِنَاسِ تقمَّعُ[١]

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ أي: فإذا عرفتم بأنِّي أنزلته، فَلِمَ لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟ ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة؟ .﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: ملحاً شديد الملوحة، قاله ابن عباس. الحسن: مرًّا[٢] قُعَاعاً لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما[٣] .﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلَّا تشكرون الذي صنع ذلك بكم[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقَدْح من الشجر الرَّطْب ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يعني التي تكون منها الزناد، وهي المرخُ والعَفَار[٥]، ومنه قولهم: في كلّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجدَ المَرخ والعَفَارُ، أي: استكثر منها[٦]، كأنَّهما أخذا من النار ما هو حسبهما، ويقال: لأنَّهما يسرعان الوَرْيَ، يقال: أَوريتُ النار: إذا قدحتها، ووَرَى الزَّنْدُ يَرِي: إذا انقدح منه النار. وفيه لغة أخرى: ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي بالكسر فيهما[٧]. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: المخترعون الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قاله قتادة. ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام[٨]. وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ ناركم هذه التي يُوقِدُ بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنَّم» فقالوا: يا رسول الله، إن كانت

---

(١) القائل: أوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٥٧، والكناس: مَوْلج الوحش من الظباء والبقر تستكنُّ فيه من الحَرِّ. اللسان (كنس)، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٦: تقمَّع: تطرد عنها القمعة، وهو ذباب أزرق، يقول: خصَّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر في الحر، والذباب لم يخفّ ولم يذهب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٢ والقُعَاع: الماء المُرُّ الغليظ. اللسان (قعع).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الكامل للمبرد ١/ ٢٧٥-٢٧٦ ، والمثل في المستقصى للزمخشري ٢/ ١٨٣ .

(٧) الصحاح (وري).

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ .

لكافيةً. قال: «فإنَّها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جُزءاً، كلُّهنَّ مثلُ حَرِّها»[١].

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الضحَّاك: أي: منفعة للمسافرين، سمُّوا بذلك؛ لنزولهم القَوَى، وهو القَفْر[٢]. الفرَّاء[٣]: إنَّما يقال للمسافرين: مُقْوين إذا نزلوا القيَّ، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء فيها. وكذلك القَوى والقَوَاء بالمدِّ والقصر، ومنزلٌ قَواء: لا أنيسَ به، يقال: أقْوَتِ الدار وقَوِيَت أيضاً، أي: خَلَتْ من سكَّانها[٤]، قال النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أقْوَتْ وطال عَليها سَالفُ الأَمَدِ[٥]

وقال عنترة:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهدُهُ أقوى وأقْفَر بَعد أُمِّ الهَيْثَمِ[٦]

ويقال: أقْوَى، أي: قَوِيَ وقَوِي أصحابه[٧]، وأقوى: إذا سافر، أي: نزل القَوَاء والقِيِّ. وقال مجاهد: «لِلْمُقْوِينَ» المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخَبْز والاصطلاء والاستضاءة[٨]، ويتذكَّر بها نار جهنَّم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم[٩]. يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئاً[١٠]، وبات فلان القَواء، وبات القفرَ: إذا بات جائعاً على غير طُعْم[١١]، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وأحمد (٨١٢٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٧ .

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩ .

(٤) الصحاح (قوا).

(٥) سلف ١٠/ ٤٧٤ .

(٦) سلف ٢/ ١٠٧ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٣ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ ، والصحاح (قوا).

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٨ .

(١٠) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٨ .

(١١) الصحاح (قوا)، وما بعده منه أيضاً.

الشاعر:

وإنِّي لأختارُ القَوَى طَاوِي الحَشَى مَخَافَظَةً من أنْ يقالَ لَئِيمُ[١]

وقال الربيع والسديُّ: «الْمُقْوِينَ» المنزلين الذين لا زناد معهم؛ يعني ناراً يوقدون فيختبزون بها؟ ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قُطْرب: المُقْوِي من الأضداد يكون بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل: إذا لم يكن معه زاد. وأقوى: إذا قويت دوابه وكثر ماله[٢]. المهدويُّ: والآية تصلح للجميع؛ لأنَّ النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبيُّ أنَّ أكثر المفسرين على القول الأوَّل. القشيريُّ: وخصَّ المسافر بالانتفاع بها؛ لأنَّ انتفاعه بها أكثر من منفعة المقيم؛ لأنَّ أهل البادية لابدَّ لهم من النار يوقدونها ليلاً؛ لتهرب منهم السِّباع، وفي كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: فنزِّه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعَجْز عن البعث.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم[٣]؛ بدليل قوله: «وإِنَّهُ لَقَسَمٌ». وقال الفرَّاء: هي نَفْي، والمعنى:

---

(١) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٤/ ١٧١٥ ولم ينسبه، وجاءت رواية صدره عنده:

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا

ثم قال: وبعضهم رواه: «لقد كنت أختار القَوَى»، وزعم أنه مقصور من القَوَاء، وليس بشيء. اهـ.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩.

ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف «أُقْسِمُ»[١]. وقد يقول الرجل: لا واللهِ ما كان كذا. فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدَّم. أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: «لا» بمعنى «ألَّا» للتنبيه كما قال:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّللُ البَالي[٢]

ونبَّه بهذا على فضيلة القرآن؛ ليتدبَّروه، وأنَّه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا[٣].

وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر: «فَلَا أُقْسِمُ»[٤] بغير ألف بعد اللام على التحقيق: وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأنا أُقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال، وهو شاذٌّ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، في قول قتادة وغيره[٥]. عطاء بن أبي رَبَاح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة[٦]. الضحَّاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مُطِروا قالوا: مُطِرنا بنَوْء كذا. الماورديُّ[٧]: ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ مستعملاً على حقيقته من نفي القسم. القشيريُّ: هو قَسَم، ولله تعالى أن يُقسِم بما يريد، وليس لنا أن نُقسِم بغير الله تعالى وصفاته القديمة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٩ ولم ينسبه.

(٢) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٢٧، وتمامه:

وهل يَعِمَنْ من كان في العُصر خاليا

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٩ ، وما بعده منه، ومن الكشاف ٤/ ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٠-٣٦١ عن قتادة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وأخرجه الطبريُّ ٢٢/ ٣٦١ عن الحسن.

(٧) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وما قبله منه أيضاً.

قلت: يدلُّ على هذا قراءة الحسن: «فَلاأُقْسِمُ» وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السَّفَرة الكاتبين، فنجَّمه السفرةُ على جبريل عشرين ليلة، ونجمَّه جبريل على محمَّد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنةً، فهو ينزله على الأحداث من أمَّته، حكاه الماورديُّ[١] عن ابن عباس والسُّدِّيِّ.

وقال أبو بكر الأنباري: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدَّثنا حجَّاج بن المنهال، حدَّثنا همَّام، عن الكلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملةً واحدةً، ثم نزل إلى الأرض نجوماً، وفُرِّقَ بعد ذلك خمسَ آيات خمسَ آيات، وأقلَّ وأكثر، فذلك قول الله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»[٢].

وحكى الفرَّاء[٣] عن ابنِ مسعود أنَّ مواقع النجوم هو مُحكَم القرآن.

وقرأ حمزة والكسائي: «بِمَوْقِعِ»[٤] على التوحيد، وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنَّخَعيِّ والأعمش وابنِ مُحيصن ورُوَيس عن يعقوب. الباقون على الجمع؛ فمن أفرد؛ فلأنَّه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع؛ فلاختلاف أنواعه[٥].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إنَّ الهاء تعود على القرآن، أي: إنَّ القرآن لقَسَم عظيم، قاله ابن عباس وغيره[٦]. وقيل: ما أقسم الله به عظيم «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

(٢) وأخرجه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٩ من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩ بإسناده إلى ابن مسعود.

(٤) السبعة ص٦٢٤ ، والتيسير ص٢٠٧ ، والنشر ٢/ ٣٨٣ .

(٥) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٣ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

كَرِيمٌ» ذكر المقسم عليه، أي: أُقسم بمواقع النجوم إنَّ هذا القرآن قرآن كريم[١]، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزةً لنبيِّه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين؛ لأنَّه كلام ربِّهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء؛ لأنَّه تنزيل ربِّهم ووَحْيه.

وقيل: «كَرِيمٌ» أي: غير مخلوق. وقيل: «كرِيمٌ» لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور[٢]. وقيل: لأنَّه يُكرِّم حافظه، ويُعظِّم قارئه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكْنُونٖ﴾ مصون عند الله تعالى[٣]. وقيل: مكنون: محفوظ عن الباطل[٤]. والكتاب هنا كتاب في السماء، قاله ابن عباس[٥]. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ[٦]. عِكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذِكْر القرآن ومن ينزل عليه. السُّدِّيُّ: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا[٧].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ اختلف في معنى «لا يَمَسُّهُ» هل هو حقيقة في المسِّ بالجارحة أو معنًى؟ وكذلك اختلف في «الْمُطَهَّرُونَ» من هم؟ فقال أنس وسعيد بن جُبير: لا يمسُّ ذلك الكتاب إلا المطهَّرون من الذنوب، وهم الملائكة[٨]. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنَّهم الذين طُهِّروا من الذنوب كالرُّسل

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٩ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) أخرجه عنه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٦٢ .

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٦٣ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وأخرج قول عكرمة الطبري ٢٢/ ٣٦٥ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٤-٣٦٦ عن سعيد بن جبير وأبي العالية وابن زيد، وذكره ابن المنذر في الأوسط ٢/ ١٠٣ عن أنس.

من الملائكة والرُّسل من بني آدم، فجبريل النازل به مُطهَّر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مُطهَّرون. الكلبيُّ: هم السَّفَرة الكرام البرَرَة[١]. وهذا كلُّه قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أحسنُ ما سمعتُ في قوله: «لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ»: أنَّها بمنزلة الآية التي في «عَبَسَ وتَوَلَّى»: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ . فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٢-١٦] ويريد أنَّ المطهَّرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس»[٢].

وقيل: معنى «لا يَمَسُّهُ» لا ينزل به «إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» أي: الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء[٣]. وقيل: لا يمسُّ اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهَّرون[٤]. وقيل: إنَّ إسرافيل هو الموكَّل بذلك، حكاه القشيريُّ. ابن العربي[٥]: وهذا باطل؛ لأنَّ الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنَّه الذي بأيدي الملائكة من الصحف، فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك.

وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا[٦]، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أنَّ في كتاب عمرو بنِ حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمَّد النبيِّ إلى شُرَحْبيل بن عبد كُلَال والحارث بن عبد كُلَال ونُعَيْم بن عبد كُلَال قَيْل ذي رُعَين ومَعَافر وهَمْدان: أما بعد، وكان في كتابه: ألا يمسَّ القرآن إلا طاهر[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ وعزاه إلى ابن زيد.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٦ .

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٥-١٧٢٦ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، والحديث عند مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ ـ ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٩٣) ـ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. وأخرجه أيضاً أبو داود في المراسيل =

وقال ابن عمر: قال النبيُّ ﷺ: «لا تمسَّ القرآن إلا وأنت طاهر»[١]. وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فقام واغتسل وأسلم[٢]. وقد مضى في أوَّل سورة «طه»[٣]. وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشِّرْك. الربيع ابن أنس: من الذنوب والخطايا[٤].

وقيل: «لا يَمَسُّه»: لا يقرؤه «إلا المطهَّرون» إلا الموحِّدون، قاله محمد بن فضيل وعَبْدة. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يُمكَّن أحدٌ من اليهود والنصارى من قراءة القرآن[٥].

وقال الفرَّاء[٦]: لا يجد طعمَه ونفعَه وبركته إلا المطهَّرون، أي: المؤمنون بالقرآن. ابن العربي[٧]: وهو اختيار البخاريِّ، قال النبيُّ ﷺ: «ذاق طَعْم الإيمان من رضيَ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد ﷺ نبياً». وقال الحسين بن الفضل:

= (٩٢) و(٩٤)، والدارقطني ١/ ١٢١ من طرق أخرى مرسلاً، قال أبو داود: روي هذا الحديث مسنداً، ولا يصحُّ. ا هـ. وقال الدارقطني عن إحدى طرقه: مرسل، ورواته ثقات. ا هـ.

وأخرجه موصولاً ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩)، والدارقطني ١/ ١٢٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٩٧، والبيهقي ٤/ ٨٩ مطولاً، وفي إسناده: سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وقد أخطأ بعض الرواة فسمَّاه سليمان بن داود، ينظر التفصيل في ذلك في الجوهر النقي ٤/ ٨٩.

قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ١٠، وفي التمهيد ١٧/ ٣٩٧: وكتاب عمرو بن حزم هذا تلقَّاه العلماء بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، وفي الصغير (١١٦٢)، والدارقطني ١/ ١٢١، والبيهقي ١/ ٨٨. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والصغير، ورجاله موثقون.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦.

(٣) ١٤/ ٥-٦، وسلف تخريج الخبر هناك.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩.

(٦) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٦٤.

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦، والحديث الآتي سلف ٨/ ٢٠٧.

لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهَّره اللهُ من الشِّرْك والنفاق. وقال أبو بكر الورَّاق: لا يُوفَّق للعمل به إلا السُّعداء. وقيل: المعنى لا يمسّ ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبيِّ ﷺ[١]. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي: لا يمسُّه إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضي أبي بكر بن العربي[٢]. وأَبطل أن يكون لفظُه لفظَ الخبر، ومعناه الأمر. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»[٣]. المهدويُّ: يجوز أن يكون أمراً، وتكون ضمَّة السين ضمَّة إعراب. ويجوز أن يكون نهياً وتكون ضمَّة السين ضمَّة بناء، والفعل مجزوم.

السادسة: واختلف العلماء في مسِّ المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسِّه؛ لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب عليٍّ وابنِ مسعود وسعد بنِ أبي وقاص وسعيد بنِ زيد وعطاء والزُّهريِّ والنَّخعيِّ والحكم وحمَّاد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي[٤]. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنَّه يمسُّه المحدِث[٥]، وقد روي هذا عن جماعة من السَّلف منهم ابن عباس والشعبيُّ وغيرهما[٦]. وروي عنه أنَّه يمسُّ ظاهرَه وحواشيَه وما لا مكتوبَ فيه، وأما الكتاب فلا يمسُّه إلا طاهر. ابن العربيِّ[٧]: وهذا إن سُلِّمه مما يُقوِّي الحجَّة عليه؛ لأنَّ حريم

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ ، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٠٩ ، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي زياد، وهو منكر الحديث.

(٢) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦ .

(٣) ٣/ ٤٩٠ .

(٤) التمهيد ١٧/ ٣٩٧-٣٩٩ ، والاستذكار ٨/ ١٠ ، وكلام الشافعي في الأم ١/ ٢٢١ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٧ ، ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من مصادر، بل الذي ورد أنه يحرم مسُّ المصحف للمحدِث ـ كما ذهب إليه الجمهور ـ ورواية أخرى عن بعض مشايخ الحنفية أنه يكره له مسُّ الموضع المكتوب دون الحواشي؛ لأنه لم يمسَّ القرآن حقيقة، والصحيح أنه إنَّما يكره مسُّ كلِّه، لأن الحواشي تابعة للمكتوب، فكان مسُّها مسًّا للمكتوب. بدائع الصنائع ١/ ٢٦٤-٢٦٦ ، وحاشية ابن عابدين ١/ ١٧٣-١٧٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٧ ، وما قبله منه أيضاً.

الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبيُّ ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غيرُ طاهر بعِلاَقة ولا على وِسادة[١]. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حَمْله بعِلاَقة أو مسِّه بحائل[٢]. وقد روي عن الحكم وحمَّاد وداود بن عليٍّ أنَّه لا بأس بحمله ومسِّه للمسلم والكافر، طاهراً أو محدِثاً[٣]، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حَمْله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبيِّ ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة، فلا حجَّةَ فيه. وفي مسِّ الصبيان إيَّاه على وجهين: أحدهما: المنع؛ اعتباراً، بالبالغ. والثاني: الجواز؛ لأنَّه لو منع لم يحفظ القرآن؛ لأنَّ تعلُّمه حال الصغر؛ ولأنَّ الصبيَّ وإن كانت له طهارة إلَّا أنَّها ليست بكاملة؛ لأنَّ النِّيَّة لا تصحُّ منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة، جاز أن يَحْمله محدِثاً.

السابعة: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: منزل[٤]، كقولهم: ضَرْبُ الأميرِ ونَسْجُ اليَمَنِ[٥]. وقيل: «تَنْزِيلٌ» صفة لقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»[٦]. وقيل: أي: هو تنزيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: مكذِّبون، قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما[٧]. والمُدْهِن: الذي ظاهره خلاف باطنه[٨]، كأنَّه شبِّه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ ، وما بعده منه أيضاً، ومن تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ ، وفي المدونة ١/ ١١٢ .

(٢) مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ١/ ١٥٦ .

(٣) التمهيد ١٧/ ٣٩٨-٣٩٨ ، والاستذكار ٨/ ١٢ .

(٤) الوسيط ٤/ ٢٤٠ .

(٥) الحلل للبطليوسي ص١٥٥ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ عن ابن عباس، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٦٨ .

(٨) الوسيط ٤/ ٢٤٠ .

بالدُّهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مُدْهِنون: كافرون[١]، نظيره: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. وقال المؤرِّج: المدهِن: المنافق أو الكافر الذي يُلين جانبه ليُخْفِي كفره، والإدهان والمداهنة: التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللِّين، وأن يُسِرَّ خلافَ ما يظهر[٢]، وقال أبو قيس بنُ الأسْلَت:

الحَزْمُ والقُوَّةُ خيرٌ مِنَ الـ ـ إدهان والفَهَّةِ والهَاعِ[٣]

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى واريت، وأدهنتُ بمعنى غَشَشْت[٤]. وقال الضحَّاك: «مُدْهِنُونَ»: معرضون. مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به[٥]. ابن كيسان: المدهن: الذي لا يَعقِلُ ما حقُّ الله عليه، ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين: مدهنون: تاركون للجَزْم في قَبول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب[٦]. وذكر الهيثم بنُ عديٍّ: أنَّ من لغة أزد شنوءة: ما رزقَ فلانٌ؟ أي: ما شكَره[٧]. وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره؛ لأنَّ شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه، فيكون الشكر رزقاً على هذا المعنى. فقيل: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ» أي: شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقاً لكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرزق، أي: تضعون الكذب مكان الشكر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] أي: لم يكونوا يُصلُّون، ولكنَّهم كانوا يصفِّرون ويُصفِّقون

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠ عن قتادة.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٤٠ .

(٣) أمالي القالي ص٢١٥ ، والمفضليات ص٢٨٥ ، وورد عندهما: والفكَّة، بدل: والفهَّة. ا هـ يقال: في فلان فكَّة: أي استرخاء في رأيه. والفهَّة: مثل السَّقْطة والجهلة ونحوها. ورجل هاعٌ لاعٌ: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فكك) و(فهه) و(هوع).

(٤) الصحاح (دهن).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٤ .

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٨ .

مكان الصلاة. ففيه بيان أنَّ ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسباباً، بل ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الله تعالى، ثم يقابلونه بشكرٍ إن كان نعمةً، أو صبرٍ إن كان مكروهاً؛ تعبُّداً له وتذلُّلاً.

وروي عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: «وتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» حقيقة[١]. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مُطِرنا بنَوء كذا، رواه عليُّ بنُ أبي طالب عن النبيِّ ﷺ[٢]. وفي «صحيح مسلم»[٣] عن ابن عباس قال: مُطِر الناسُ على عهد النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةُ الله. وقال بعضهم: لقد صَدَق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» حتى بلغَ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ»».

وعنه أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ خرج في سفر فعطشوا، فقال النبيُّ ﷺ: «أرأيتم إن دعوتُ اللهَ لكم، فسُقِيتم، لعلكم تقولون: هذا المطر بِنَوء كذا». فقالوا: يا رسول الله، ما هذا بحين الأنواء. قال: فصلَّى ركعتين ودعا ربَّه، فهاجت ريح، ثم هاجت سحابة، فمُطِروا؛ فمرَّ النبيُّ ﷺ ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له، وهو يقول: سُقينا بِنَوء كذا، ولم يقل: هذا من رزق الله، فنزلت: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» أي: شكركم لله على رزقه إيّاكم «أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» بالنعمة وتقولون: سُقِينا بنوء كذا، كقولك: جعلتَ إحساني إليك إساءةً منكَ إليَّ، وجعلتَ إنعامي لديكَ أن اتَّخذتني عدوًّا[٤]. وفي «الموطأ»[٥] عن زيد بن خالد الجُهنيِّ أنَّه قال: صلَّى بنا

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٩ ، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣١٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٠ ، وأما خبر علي المرفوع فأخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ٢/ ٩٧ (٦٧٧)، والطبري ٢٢/ ٣٦٩ .

(٣) برقم (٧٣)، وأخرجه أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٩ ، والكلام ـ وما بعده ـ منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٥) ١/ ١٩٢ ، والحديث سلف ٨/ ٤٠٣ ، وقوله: على إثر سماء كانت من الليل. فإنه أراد سحاباً حيث نزل من الليل، والعرب تسمي السحاب والماء النازل منه سماء. التمهيد ١٦/ ٢٨٥ .

رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقْبَلَ على الناس وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بالكوكب، فأما من قال: مُطِرنا بفَضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي».

قال الشافعيُّ[١] رحمه الله: لا أحبُّ أحداً أن يقول: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، وإن كان النَّوء عندنا الوقت المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئاً من المطر، والذي أحبُّ أن يقول: مُطِرنا وقت كذا، كما تقول: مُطِرنا شهر كذا، ومن قال: مُطِرنا بنَوء كذا، وهو يريد أنَّ النَّوء أنزل الماء، كما عنى بعضُ أهل الشرك من الجاهلية بقوله، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بنُ عبد البر[٢]: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكياً عن الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» فمعناه عندي على وجهين: أمَّا أحدهما: فإنَّ المعتقِد بأنَّ النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عزَّ وجلَّ، فذلك كافر كفراً صريحاً يجب استتابته عليه وقَتْله؛ لنَبذِه الإسلام، وردِّه القرآن. والوجه الآخر: أن يعتقد أنَّ النَّوء يُنزِل اللهُ به الماءَ، وأنَّه سببُ الماء على ما قدَّره الله وسَبَق في علمه، وهذا وإن كان وجهاً مباحاً، فإن فيه أيضاً كفراً بنعمة الله عزَّ وجلَّ، وجهلاً بلطيف حكمته في أنَّه يُنزِل الماء متى شاء، مرَّة بنَوء كذا، ومرَّة دون النوء[٣]، وكثيراً ما يخوي[٤] النَّوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النَّوء. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مُطِر: مطِرنا بنَوء

---

(١) في الأم ١/ ٢٢٣ ، والمصنف نقله عنه بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٢٨٥ .

(٢) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٣) في النسخ عدا (ظ): بنوء كذا، والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٤) في النسخ عدا (ظ): ينوء. والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦ ، وخَوَت النجوم تخوي خيًّا: أمْحَلَتْ، وقيل: خَوَت وأخوَت: إذا سقطت ولم تمطر في نوئها. اللسان (خوا).

الفتح، ثم يتلو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] قال أبو عمر[١]: وهذا عندي نحو قول رسول الله ﷺ: «مُطِرنا بفَضْل الله ورحمته»[٢]. ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عمَّ رسولِ الله، كم بقيَ من نَوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنَّها تعترض في الأُفُق سبعاً بعد سقوطها. فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله، هذا بفَضَل الله ورحمته. وكأنَّ عمر ﷺ قد عَلِمَ أنَّ نَوء الثُّريا وقت يُرجى فيه المطر ويؤمَّل، فسأله عنه: أخَرج، أم بقيت منه بقيَّة[٣]؟.

وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أميَّة أنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً في بعض أسفاره يقول: مُطرنا ببعض عثَانين الأسد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ، بل هو سُقْيا الله عزَّ وجلَّ» قال سفيان: عَثَانين الأسد: الذراع والجبهة[٤].

وقراءة العامة: «تُكَذِّبون» من التكذيب. وقرأ المفضَّل عن عاصم ويحيى بن وَثَّاب: «تَكْذِبُونَ» بفتح التاء مخفَّفاً[٥]. ومعناه ما قدَّمناه من قول من قال: مطِرنا بنَوْء كذا.

وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لن يزلن في أمَّتي: التفاخر في الأحساب، والنِّياحة، والأنْواء»[٦] ولفظ مسلم[٧] في هذا: «أربع في أمَّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفَخر في الأحساب، والطَّعن في الأنساب،

---

(١) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٢) سلف قريباً.

(٣) التمهيد ١٦/ ٢٨٦ ، وخبر عمر أخرجه الحميدي في مسنده (١٠٠٩) ، والطبري ٢٢/ ٣٧٠-٣٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥٩ مطوَّلاً.

(٤) التمهيد ١٦/ ٢٨٤ ، والحديث أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢١ و٢٢/ ٣٧٠ عن يونس، عن سفيان، به.

(٥) قراءة عاصم في السبعة ص٦٢٤ .

(٦) أخرجه أبو يعلى (٣٩١١)، وابن عبد البر في التمهيد ١٢/ ٢٤٢ و١٦/ ٢٩٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢ : رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٧) في صحيحه (٩٣٤)، وهو عند أحمد (٢٢٩١٢).

والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة».

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: فهلَّا إذا بلغت النفس أو الروح الحُلْقوم[١]. ولم يتقدَّم لها ذِكْر؛ لأنَّ المعنى معروف، قال حاتم:

أَمَاوِيُّ ما يُغْني الثَّرَاءُ عنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدرُ[٢]

وفي حديث: «إنَّ مَلَك الموتِ له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي بها إلى الحُلْقوم، فيتوفاها مَلَك الموت»[٣].

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أَمْري وسلطاني[٤]. وقيل: تنظرون إلى الميِّت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تَخرُج نفسه. ثم قيل: هو ردٌّ عليهم في قولهم لإخوانهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي: فهلَّا ردُّوا رُوح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل: المعنى: فهلَّا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقومَ عند النزع وأنتم حضور، أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عُمُره، وحبِّكم لبقائه. وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي: إن لم يَكُ ما بِكَ من الله، فهلَّا حفظت على نفسك الروح.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بالقدرة والعِلم والرؤية[٥]. قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقربَ إليَّ منه. وقيل: أراد: ورسلنا الذين يتولَّون قَبْضه «أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ» ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تَرَوْنَهم[٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: فهلَّا إن كنتم غيرَ محاسبين ولا

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٢ .

(٢) ديوانه ص٣٩ ، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردُّد النَّفَس. الصحاح (حشرج).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١ . والصحيح إثبات صفة القرب لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣ .

مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيُّون محاسبون. وقد تقدم[١]. وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفرَّاء وغيره: دَيَّنْتُه: ملَّكتْه، وأنشد للحطيئة:

لقد دُيِّنتِ أمْرَ بَنِيكِ حَتَّى تَرَكتِهِمُ أدَقَّ مِن الطَّحِينِ[٢]

يعني: مُلِّكْتِ. ودانه، أي: أذلَّه واستعبده، يقال: دِنْته فَدَان. وقد مضى في «الفاتحة»[٣] القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية: ٤].

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: ولن تُرجعوها، فبطل زعمكم أنَّكم غير مملوكين ولا محاسبين. و«ترجعونها» جواب لقوله تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ»، ولقوله: «فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أجيبا بجواب واحد، قاله الفرَّاء[٤]. وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد؛ وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلّا إن كنتم غير مَدِينين تَرجِعونها، تردُّون نَفْس هذا الميِّت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخَلْق عند الموت، وعند

---

(١) ١٩/ ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الصحاح (دين) وما بعده منه أيضاً، والبيت في ديوان الحطيئة ص٦٥ ، إلا أنه ورد فيه: فقد سوِّست، بدل: لقد دُيِّنت.

(٣) ١/ ٢٢١.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠ ، وما بعده منه أيضاً.

البعث، وبيَّن درجاتهم فقال: «فَأَمَّا إِن كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهم السَابقون[١]. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة: «فَرَوْحٌ» بفتح الراء[٢]، ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا[٣]. وقال الحسن: الرَّوح: الرحمة[٤]. الضحَّاك: الرَّوح: الاستراحة. القُتَبيُّ[٥]: المعنى: له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الرَّوح بالنظر إلى وَجْهِ الله، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه. «وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» هو ألا يُحجَب فيها عن الله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدريُّ ورُوَيس وزيد عن يعقوب: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء، ورويت عن ابن عباس[٦]. قال الحسن: الرَّوح: الرحمة؛ لأنَّها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبيُّ ﷺ: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء[٧] ومعناه: فبقاء له وحياة في الجنَّة، وهذا هو الرحمة.

«وَرَيْحَانٌ» قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: رزق[٨]. قال مقاتل: هو الرزق، بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحانَ الله، أي: رزقه؛ قال النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلَامُ الإلهِ ورَيْحَانُه ورحمتُه وسَمَاءٌ دِرَرْ[٩]

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١ .

(٢) النشر ٢/ ٣٨٣ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٦ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٦-٣٧٧ ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٣٥ (١٨٨٠٩).

(٤) الكشاف ٤/ ٦٠ .

(٥) في غريب القرآن له ص٤٥٢ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٥٢ ، والمحتسب ٢/ ٣١٠ ، والنشر ٢/ ٣٨٣ .

(٧) الكشاف ٤/ ٦٠ ، وأخرجه أحمد (٢٤٣٥٢) ، وأبو داود (٣٩٩١) ، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٣ ، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٧٧ ، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٣ .

(٩) سلف ص١٢٢ من هذا الجزء.

وقال قتادة: إنَّه الجنَّة. الضحَّاك: الرحمة. وقيل: هو الريحان المعروف الذي يُشَمُّ. قاله الحسن وقتادة أيضاً[١]. الربيع بن خَيْثم: هذا عند الموت، والجنَّة مخبوءة له إلى أن يُبعَث. أبو الجوزاء: هذا عند قَبْضِ روحه يتلقَّى بضَبَائر الرَّيحان[٢]. أبو العالية: لا يُفارِق أحد رُوحه من المقرَّبين في الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان، فيشمها ثم يقبض روحه فيها[٣]، وأصل ريحان واشتقاقه تقدَّم في أوَّل سورة «الرحمن» فتأمَّله. وقد سرد الثعلبيُّ في الرَّوْحِ والرَّيحان أقوالاً كثيرةً سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: «إنْ كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبُّ من السلامة فلا تهتمّ لهم، فإنَّهم يَسْلَمون من عذاب الله. وقيل: المعنى: سلام لك منهم، أي: أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي: إنَّ أصحابَ اليمين يَدْعُون لك يا محمَّد بأن يصلِّي اللهُ عليك ويُسلِّم. وقيل: المعنى إنَّهم يُسلِّمون عليك يا محمَّد[٤]. وقيل: معناه: سَلِمتَ أيُّها العبد مما تكره، فإنَّك من أصحاب اليمين، فحذف: إنَّكَ[٥]. وقيل: إنه يُحيَّا بالسلام؛ إكراماً.

فعلى هذا في محلِّ السلام ثلاثة أقاويل: أحدها: عند قَبْضِ روحه في الدنيا يُسلِّم عليه مَلَك الموت، قاله الضحَّاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٦ ، والنكت والعيون ٥/ ٤٦٧ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤ ، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٨ .

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٣٦٢ ، والضبائر: الجماعات. اللسان (ضبر).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٨ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٩١ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٨ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣١ .

المؤمن قال: ربُّك يقرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة «النحل»[١] عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

الثاني: عند مساءلته في القبر يُسلِّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تُسلِّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها[٢].

قلت: وقد يحتمل أن تُسَلِّم عليه في المواطن الثلاثة، ويكون ذلك؛ إكراماً بعد إكرام. والله أعلم. وجواب «إنْ» عند المبرِّد محذوف، التقدير: مهما يكن من شيء «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» إن كان من أصحاب اليمين «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» فحذف جواب الشرط؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، كما حذف الجواب في نحو قولك: أنت ظالم إن فعلتَ؛ لدلالة ما تقدَّم عليه. ومذهب الأخفش أنَّ الفاء جواب «أمَّا» و «إنْ»، ومعنى ذلك أنَّ الفاء جواب «أمَّا» وقد سدَّت مسدَّ جواب «إنْ» على التقدير المتقدِّم، والفاء جواب لهما على هذا الحدِّ. ومعنى «أمَّا» عند الزجَّاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي: دَعْ ما كنَّا فيه، وخذ في غيره[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحقِّ[٤] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فلهم رزق من حميم، كما قال: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ» وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧]. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إدخال في النار. وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النارَ وصَلَاه، أي: جعله يَصْلَاها، والمصدر ههنا أُضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعطاء مالٍ، أي: يُعطَى المال. وقرئ: «وَتَصْلِيَةِ» بكسر التاء، أي: ونزلٌ من تصلية جحيم. ثم أدغم أبو عمرو التاء في

---

(١) ١٢/ ٣٢٠.

(٢) الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٥/ ٤٦٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٤-٧١٥، وقول المبرِّد في المقتضب ٢/ ٢٧.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١.

الجيم، وهو بعيد[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه مَحْضُ اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحقِّ إلى اليقين، وهما واحد؛ لاختلاف لفظهما. قال المبرِّد: هو كقولك: عين اليقين، ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين: حقُّ الأمر اليقين، أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتاً للحقِّ، فأُضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[٢] [يوسف: ١٠٩].

وقال قتادة في هذه الآية: إنَّ الله ليس بتارِك أحداً من الناس حتى يَقِفه على اليقين من هذا القرآن، فأمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: نَزِّه الله تعالى عن السُّوء. والباء زائدة، أي: سبِّح اسم ربِّك، والاسمُ المسمَّى[٣]. وقيل: «فَسَبِّحْ» أي: فَصَلِّ بذِكر ربِّك وأَمْره[٤]. وقيل: فاذكر اسمَ ربِّك العظيم وسبِّحه. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» خرَّجه أبو داود[٥]، والله أعلم.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٢ ، والكشاف ٤/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٢١٦ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢/ ٤٣٦-٤٣٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٨ .

(٣) الوسيط ٤/ ٢٤٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٢ .

(٥) برقم (٨٦٩)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (١٧٤١٤)، والحاكم ٢/ ٤٧٧ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.